من قضايا العربيـــة

ومشكلاتها المعاصرة

obeikandl.com

obeikandl.com

اللغة العربية المشتركة

سبق أن ذكرنا خلال حديثنا عن اللغة المشتركة واللهجات العوامل التى تنشأ بها اللغة المشتركة ، والصورة التى تكون عليها لغات الأفراد فى إطار هذه اللغة ، وعوامل الانقسام اللهجى ، وحدود هذا الانقسام .

ومن الطبيعى أن نطبق ماقلنا هنالك على حالة اللغة العربية ، لأنها هى الهدف الأساسى من دراستنا الأكاديمية والعملية .

وتاريخ هذه العربية تاريخ بعيد ، يرجع إلى ماقبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة ، حتى لقد وجدنا الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يكتب كتابا يقرر فيه أن الثقافة العربية أقدم وأسبق من ثقافة اليونان والعبريين[1] .

وهو يقرر فى هذا الكتاب الفريد : أنه قد مضى على العرب أكثر من ألفى سنة ، وهم معروفون بهذا الاسم الذى يطلقونه على أنفسهم ، ويطلقه عليهم غيرهم . وقد كانوا من قبل ذلك يسكنون هذه الجزيرة العربية ، قبل ذلك أيضاً بقرون ، ثم يقول : ولاخلاف كذلك فى قدم اللسان العربى فيها ، ولا فى أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون ، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له فى أصوله وخصائصه ، ثم تساءل : أكان المتكلمون بهذا اللسان قبل ثلاثين قرنا مقيمين بالجزيرة العربية ، أم كانوا مقيمين فى موطن آخر ، ثم هاجروا إليها ؟

فاستعمال العربية فى رأى الأستاذ العقاد كان على ألسنة أهلها منذ أكثر

---

(١) سلسلة (المكتبة الثقافية) العدد (١) وزارة الثقافه والإرشاد القومى .

من ثلاثين قرنا ، غير أنه يقرر بعد ذلك : أن عربية ذلك الزمان السحيق لم تكن هى عربية اليوم ، وهو أمر طبيعى ، ولكنها كانت فى صورة لغة أخرى ، هى الآرامية التى كانت عربية تلك الأيام فى موطنها ، وأنها قريبة جداً من اللغة العربية الفصحى بعد تطورها نحو ثلاثة آلاف سنة، ويختم حديثه بقوله : « وجملة القول أن الثقافة الآرامية عربية فى لغتها ، ونشأتها، ونسبتها إلى عنصرها ، ولا يمكن أن تعرف لها نسبة إلى أمة غير الأمة العربية فى عهودها الأولى ، فكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضل هذه الأمة على الثقافة العالمية » .

وليس الأستاذ العقاد منفردا فى رأيه هذا ، بل سبقه إلى ما هو أكثر منه بلوغا فى الزمان باحث عربى آخر هو الأستاذ محب الدين الخطيب ، الذى وصل بالوجود العربى فى الجزيرة وماحولها إلى أبعد مما وصل إليه العقاد ، فمن المعلومات التاريخية المقررة الآن أن أول موجة هاجرت من الجزيرة العربية إلى العراق كانت عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد ، أى : منذ ستة وخمسين قرنا ، وبذلك يكون ظهور إبراهيم عليه السلام فى العراق ـ حدثا عربيا فى شكله العام ، وإن انتمى إلى بعض القبائل التى تحمل اسم الكلدانيين ، وهم قوم من الساميين ، أو العرب بشكل عام .

ويقدم المؤلف تفسيرا لهذا الالتقاء التاريخى فى تصوره فيقول : « إن اللغات السامية ، وهى اللغات التى كان يتكلم بها الكلديون والأشوريون ، فى العراق ، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون فى الشام والحبشة ، وراء الساحل العربى من بحر القلزم [البحر الأحمر] ـ كن فى العصور الأولى متشابهات بحيث يعتبرن كلهن لهجات للغة واحدة ، ولذلك استطاع سيدنا

إبراهيم عليه السلام أن يتنقل بين العراق والشام ومصر والحجاز ، وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار ، إذ لم يكن بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية فى المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد، ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هى الأصل ، والأخرى فروع لها ، بل الراجح أن اللغة الأصلية التى ترجع إليها هذه اللغات ـ ذابت فيهن، غير أن الحالة التى كانت عليها اللغات السامية جميعا قبل ظهور الإسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد ـ أن العربية أرقاهن ، ومعنى هذا أنها أعرقهن فى القدم ، فلا يبعد أن تكون هى البنت البكر لأمها السامية الأولى »[1].

غير أن هذا التاريخ الذى أشار إليه الأستاذان العقاد والخطيب غامض غموضا شديداً ، نظرا إلى أن هذه اللغة لم تتطور فى وسط حضارى ، بل كانت القبائل التى تكلمت بالعربية فى التاريخ منعزلة وسط بحار من الرمال ، فيما سمى بشبه الجزيرة العربية ، ولم يؤثر عن هذه القبائل أنها كانت تعرف شيئاً عن فنون التسجيل الحضارى كالنقش على الحجر، أو كالكتابة على البردى، أو كالتماثيل والمعابد والأديرة ، وهو ما سجلت عليه الحضارة الفرعونية فى تاريخ مصر القديم، فحفظت لنا به معالم تلك الحقبة الخالدة فى تاريخ الإنسانية.

إن التاريخ العربى فيما قبل الحقبة المسماة بالعصر الجاهلى يتلخص فى عبارة واحدة هى : (لقد ولد العربى ومات) ، فهذا القدر هو الذى جرى على كل عربى فى تلك الجزيرة ، فى ذلك التاريخ البعيد ، الذى شهد تطور العربية واستواءها على ألسنة أهلها من بدو الصحراء .

---

(١) اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب ـ بحث تاريخى فى الهجرات العربية منذ ستة آلاف سنة . وفى أن أصل الكلدانيين والفينيقيين . من العرب ـ للمرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب

وقد حاول بعض المستشرقين أن يكشفوا فى حفرياتهم شيئاً من هذا التاريخ ، ومن ذلك أنهم قدموا لنا بعض النقوش التى عثروا عليها فى بادية الشام ، فى حوران ، وفى زبيد ، وفى النمارة[1] ، وقالوا : إن ماوجد بها من نصوص يعد تصويراً لطفولة هذه اللغة ، ولكن التحقيق العلمى كشف عن أن هذه النصوص تنتمى إلى اللغة الآرامية التى هى مرحلة عربية، إلى جانب أنها ضحلة،وأكثر مضمونها أسماء أشخاص ، لاتعطى فكرة واضحة عن لغتها.

وهكذا نقف فى عماية وغموض إذا ماحاولنا كشف شىء،ولوقليل ، عن طفولة هذه العربية الفصحى .

ولكن هذا لايمنعنا أن نؤكد أنها كانت كسائر لغات البشر ذات طفولة استمرت عدة قرون ، إلى أن شبت عن الطوق فكانت هذه اللغة المثالية الراقية ، التى تتمثل فى لغة الشعر الجاهلى .

وليس من المعقول أن نعتبر الشعر الجاهلى هو البداية الحقيقية لهذه اللغة، فليس من سنن الله فى تكوين اللغات أن تكون فى منشئها على هذا النسق الرفيع .وذلك النضج المكتهل ، وإنما الطبيعى أن لغة الجاهلى قد مرت خلال أحقاب تاريخية طويلة بمراحل تطورية هائلة ، ثم خلالها صقلها على هذه الصورة العجيبة ، فاكتمل لأصحاب اللغة ذلك المستوى الراقى من القدرة على البيان ، فصاغوه ، نثرا فى خطبهم ، وشعرا فى قصائدهم ومعلقاتهم ، وانتهى إلينا مما قالوه نماذج تعد قمة لاتدانيها محاولات الشعراء والبلغاء على مر الزمان، وربما لو ذكرنا هذين البيتين :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

---

(١) ارجع فى هذا إلى كتاب (مصادر الشعر الجاهلى) للدكتور ناصر الدين الأسد — طبعة دار المعارف .

— دون أن نعرف قائلهما ، لحسبنا أنه أحد الشعراء المولدين المغرمين ، من المعاصرين ، ولكم يروعنا أن نعرف أنه عنترة بن شداد ، أحد فرسان الجاهلية ، وأحد شعرائها الأفذاذ ، وليس مايروعنا منه هو تلك السلاسة فى التعبير فحسب ، ولكنها كذلك القدرة على صوغ هذا الموقف الغنى بالعناصر النفسية ، فى تلك العبارة الموجزة ، وذلك التعبير الأخاذ الساحر ، الممتلىء أدبا وتصونا ، المتنزه على الإسفاف فى تصوير المشاعر العاشقة .

ولغة على هذا المستوى لاتكون فى بدايتها ، وإنما فى قمة نضجها ، وفى أوج ازدهارها . وهى مرحلة لاتبلغها اللغات قبل أن تدب عشرات القرون على أربع ، ثم على رجلين ثم تستوى ناهضة لتطير بجناحين ، وهى فى خلال هذه المراحل التطورية تهذب من صيغها ، وتطور أصواتها ، وتنقى تراكيبها ، وتصفى معانيها ، وتضيف إلى محصولها من اللغات المجاورة التى تحتك بها ، إلى أن يتم لها كيان لغوى ذو سمات مكتملة .

على أن وضع اللغة العربية كان فى الحق ممتازا عن سائر أخواتها من اللغات السامية ، إذ أنها قد انعزلت فى بيئاتها الصحراوية ، وابتعدت عن الاحتكاك باللغات المجاورة كثيرا . ولذلك يقرر اللغويون أنها أقرب أخواتها الساميات إلى اللغة السامية الأم (على فرض وجودها) ، لأنها احتفظت بعدة عناصر امتازت بها الفصيلة السامية على سائر اللغات المعروفة ، ثم انقرضت هذه العناصر من بقية أخواتها كالعبرية والسريانية والآرامية ، التى كانت مرحلة من مراحلها التاريخية فى رأى الأستاذين العقاد والخطيب .

وأبرز مثال على ذلك ظاهرة الإعراب التى تلازم أواخر الكلمات فى العربية ، فهى ظاهرة سامية قديمة ، توجد بعض بقاياها فى الأكدية ، ولكنها

انقرضت من سائر اللغات السامية ، وماذلك إلا لأن العربية قد انعزلت فى الصحراء ، بعيدا عن عوامل التأثير والتأثر باللغات المعاصرة لها ، والتى كانت تتأثر فى الواقع باللغات الغالبة عليها ، كالفارسيـــة والرومية والإغريقية .

ومن المسلم به تاريخا أن العرب كانوا أمة متفرقة إلى قبائل ، وأن هذه القبائل قد حدث فيما بينها صراع هائل خلال قرون طويلة ، وشبت بينها حروب استمرت أحيانا إلى مائة عام . غير أنها كانت أحيانا تميل إلى التواصل ، وبخاصة فى ظل المقدسات التى تركزت فى مكة ، وكانت مكة فى الواقع أشبه بقلب الجزيرة العربية ، يفد إليها الحجيج رجالا وعلى كل ضامر ، ومن كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، على حد تعبير القرآن .

فالحياة العربية[1] فى صورتها الأولية لاتخرج عن التصور القبلى ، حيث كانت القبائل تعيش منعزلا بعضها عن بعض ، معتزاً كل منها بتقاليده الاجتماعية واللغوية ، مفتخراً بما لديه من قدرة على البطش بمعارضيه .

وحياة العزلة ذات تأثير على كل عناصر المجتمع ، البشرية والمعنوية ، فالأطفال فى ذلك المجتمع ينشأون بعيدين عن رعاية الأب والأم ، المشغولين بالرعى وتربية الأغنام ، وجلب القوت اليومى ، والحى خال من الكبار ، ممتلىء بالصغار ، الذين يلعبون معا ، ويمرحون ويغنون ، أعنى أنهم يمارسون

---

(١) انظر حول الأفكار الأساسية فى الموضوع كتاب « فى اللهجات العربية » للدكتور إبراهيم أنيس ـ الفصل الثانى .

نشاطهم اللغوى ، حرا طليقا من كل قيد أو رقابة . ولو فرض أن أحدهم كان منحرف النطق فى بعض الأصوات أو الصيغ ـ وهو ما كان واقعا دائما ـ فليس هناك من يقوّم له لسانه ، أو يعينه على تدارك خطئه ، ومن هنا تتفشى الأخطاء وتتعاظم على ألسنة الجيل الناشىء ، الذى يمسك من بعد بقيادة المجتمع ، وهو الذى شب على بعض الانحرافات النطقية ، وإذا بهذه الانحرافات عن سنن النطق الجماعى تكتسب ثباتا واستقرارا على الألسنة الشابة ، لتصبح من بعد صورة تطورية للغة ، بعد أن كانت فى بدايتها مجرد أخطاء أو انحرافات .

هكذا كانت حال اللهجات العربية فى نشأتها، فقد انعزلت قبائلها بعضها عن بعض ، وأخذت اللغة تتطور نتيجة الأوضاع الاجتماعية غير المستقرة فى داخل هذه القبائل ، غير أن حياة القبائل لم تكن دائما غير مستقرة ، إذ أن منها من توفرت له أسباب الاستقرار ، ومن الطبيعى أن تبطىء حركة تطور اللغة فى هذا الوسط عنها فى الوسط الآخر غير المستقر .

على أننا نغلو كثيرا ، بل نخطىء ، حين نتجاهل أحد المعالم الأساسية فى تكوين المجتمع العربى ، فهذا المجتمع شأنه شأن أغلب المجتمعات ، كان يضم مستويين من مستويات الحياة الاجتماعية :

المستوى الأول :

وتعيش فيه قبائل ذات حضارة وإمكانات مادية وأدبية كبيرة ، وهذه كانت تسكن المدن الكبرى ، مثل مكة ويثرب ، والحواضر اليمنية والشامية والعراقية ، التى كانت تجاور أو تخالط شعوب الفرس والروم ، وأهم ما يعنينا

منها القبائل التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة وغربها ، وهى قبائل : قريش وهذيل ، وثقيف ، والأوس ، والخزرج وغيرها .

والمستوى الثانى :

وتعيش فيه قبائل أكثر بداوة ، وأقل حضارة ، وهى كثيرة التنقل فى أرجاء الجزيرة بحثا عن المرعى ، وعن الاستقرار ، وعن الأمن ، وقد كانت هذه القبائل متركزة تقريباً فى شرقى الجزيرة ووسطها ، ومن أشهرها : تميم ، وقيس ، وأسد .

وليس من الصواب أن نستهين بهذه القبائل فنتصور أن عددها قليل ، بل العكس هو الصحيح ، فتميم هذه كانت شعبا عظيما ، عددا ومكانة ، فى الجزيرة كلها ، وهى تعد الجناح الثانى للأمة التى عرفت بعد ذلك فى التاريخ باسم (الأمة العربية) ، حيث تعد قريش جناحها الأول .

وقبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم أحس الناس فى أنحاء الجزيرة بمغزى الصلات التى تربطهم فيما بينهم ، والتى تضمن لهم حماية فعالة ضد أى مغير قد يطرأ ، من الأحباش أو من الفرس ، فنشطت هذه الصلات فى صورة تبادل تجارى ، وأدبى ، حيث كانت تقام فى الأسواق التجارية ندوات يعرض فيها شعراء القبائل الوافدة قصائدهم ، وينشدونها بين يدى النقاد والمُحكَّمين ، وكان هؤلاء يحاولون تثقيف ما يعرض عليهم من الأشعار ، وتوجيه الشعراء الوجهة الصائبة فيما يصوغون ، حدث هذا فى أسواق كانت أدبية فى الواقع ، أكثر منها تجارية ، وذلك : كأسواق عكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، وخيبر .

عن طريق هذه اللقاءات الأدبية تكونت للعرب لغة مشتركة ، وتقاليد فصحى ، هى خير ما جاءت به اللهجات المتفرقة ، فأضافته إلى لسان قريش ، التى كانت تسكن جوار البيت العتيق ، فمنحها هذا الجوار سلطة روحية وأدبية ، وإن لم يمنعها من أن تنتقى من ألسنة العرب ما وافق طباع ألسنتها ، وما أحست أنه صورة راقية من صور اللغة الفصحى ، يقول أبو الحسين أحمد بن فارس :

« أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم ، أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة . وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم ، واختار منهم نبى الرحمة محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجعل قريشا قُطّانَ حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم ، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم ، وتحكم بينهم . . . ثم قال : وكانت قريش ، مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب »[1] .

فاللغة العربية المشتركة إذن ليست هى لغة قريش أو لهجتها ، فهذه كان شأنها شأن لهجات العرب ، وإن تكن أرقاها ، وأعظمها حضارة . وإنما كانت العربية المشتركة مزيجا من تقاليد اللهجات ، وهى التقاليد الراقية غير غير المسفة ، إلى جانب غلبة الطابع القرشى فى هذا الاختيار .

---

(١) الصاحبى / ٢٣ .

وليس وجود اللغة المشتركة بمانع العربىّ أن يتكلم بلهجته الخاصة ، فقد كان يلجأ إلى اللغة المشتركة ، حين يقف موقفا يتطلب منه الحديث إلى خليط من أبناء القبائل المختلفة ، فى نادٍ أدبى ، أو محفل للتقاضى ، أو سوق للتجارة ، وبعبارة مختصرة : فى المجال الجِدّىّ الذى يقتضى منه قولا جادا .

أما حين يعود إلى موطنه فإنه يعود إلى ما جرى به لسانه من تقاليد لهجته المحلية ، يتعامل بها مع مواطنيه ، جِدًّا وهزلاً .

وقد كان توحد اللهجات العربية ، فى المستوى الأدبى ، فى صورة اللغة المشتركة مقدمة لابد منها لنزول القرآن بتلك اللغة المختارة الصافية ، فلم نجد فى عبارة القرآن الكريم أثراً من آثار اللهجات الكثيرة ، وإنما كانت عبارته دائما خالصة من الأوشاب اللهجية ، تماما كما كان الشعر فى العصر الجاهلى خالصا من الأوشاب اللهجية ، مترفعا عن ظواهرها المسفة أحيانا . لقد كان الشعر ديوان العرب جميعا على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وثقافاتهم ، وكان القرآن من بعد كتابَ العرب جميعا على اختلاف قبائلهم وأنسابهم ، بل كان أكثر من ذلك كتاب البشرية كلها ، أحمرها وأبيضها وأسودها ، فلا بد أن تكون صورته الأدبية غاية فى النقاء ، قمة فى السمو البيانى ، وهو ما وسم القرآن من أول آياته إلى آخرها ، حتى أقرت الأجيال الأولى والأخرى بتفوقه . وكان من شرائط الإيمان أن نسلم بإعجاز القرآن ، ولسوف نبين فى فصل قال أثر القرآن فى العربية على نحو مفصل إن شاء الله .

أشهر اللهجات العربية القديمة وعناصرها :

يجدر بنا بعد هذا البحث فى تاريخ اللغة العربية ، وتاريخ اللغة المشتركة الفصحى ، وعلاقتها باللهجات القبلية ـ أن نقدم إلمامة سريعة عن اللهجات العربية القديمة ، وأشهر هذه اللهجات ، وما تتميز به كل لهجة إجمالا عن غيرها .

والواقع أن اللهجات ـ فى أية لغة ـ لا يفصل بينها وبين اللغة المشتركة سوى بعض الصفات الصوتية ، فاللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل ، تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعا فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات ، وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها (باللغة) ، أو (اللسان) فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص[1] .

وقد سبق أن ذكرنا أن اللغات المختلفة المنتمية إلى فصيلة واحدة ، يتميز بعضها عن بعض فى جوانب كثيرة ، ولكنها تتقارب فى أمور هى فى الواقع مجموعة العناصر القديمة ، التى نزيدها هنا تأكيدا :

---

(١) فى اللهجات العربية ص ١٦٠ .

١ ـ الضمائر .

٢ ـ الأعداد .

٣ ـ أسماء الإشارة والموصول .

٤ ـ الاشتراك فى معانى نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة، كالأرض والسماء ، وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن .

٥ ـ أدوات الربط بين أجزاء الجملة .

٦ ـ الاشتراك العام فى كيفية تركيب الجمل[١] .

وقد اتضح ذلك لنا مما سقناه عن تقارب أسماء العدد بين الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وهى لغات مختلفة تنتمى إلى الفصيلة اللاتينية ، إحدى فصائل اللغات الهندية ـ الأوربية ، والأمر لا يختلف كثيرا عن ذلك فى مجال اللغات السامية (العربية والعبرية والسريانية) مثلا .

أما اللهجات فإن علاقتها باللغة المشتركة أقرب من ذلك ، وينحصر جوهر الفرق بين بعضها وبعض فى مجموعة من الصفات الصوتية ذات الصبغة المحلية :

١ ـ اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية .

٢ ـ اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .

٣ ـ اختلاف فى مقياس بعض أصوات اللين .

٤ ـ تباين النغمة الموسيقية فى الكلام .

---

(١) السابق ص ١٧ .

٥ — اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، حين يتأثر بعضها ببعض[١] .

والناظر فى تاريخ اللغة العربية يجد أسماء قبائل كثيرة تتردد فى جوانب هذا التاريخ ، ولكن يبرز منها دائما عدة قبائل هى : قريش ، وتميم ، وأسد وهذيل ، وعقيل ، وطيىء ، وغيرها .

وإنما اشتهرت هذه القبائل دون سواها لما تميزت به لهجاتها من عناصر صوتية فرقت بينها وبين اللهجة المشتركة ، وهى عناصر كانت ملتزمة فى البيئات القبلية ، بين أفراد القبيلة الواحدة ، فإذا ما تغيرت البيئة ، ووقف العربى موقفا يخاطب فيه أفرادا آخرين لجأ إلى اللغة المشتركة ، يلتزم ظواهرها ، ويتمثل صفاتها .

ومن المؤسف بالنسبة إلى تاريخ اللغة العربية أن عناصر هذا التاريخ لم تحفظ مدونة بكل تفصيلاتها ، وإنما امتدت يد التجاهل والنسيان إلى هذه العناصر ، وبخاصة ما يتصل باللهجات العربية ، فلم ترو لنا آدابها الشعبية ، ولا حفظت لنا نصوص نرجع إليها فى تجلية معالم هذا التاريخ ، وهذه هى الصفة الغالبة على كل جوانب تاريخ العربية ، إبان نشأتها ، فيما قبل العصر الجاهلى . وزاد الإهمال للهجات حين اهتم الناس باللغة المشتركة ، وأثبتوا بها نصوصهم ، وسجلوا فى مستواها الأدبى أشعارهم ، فاستنكفوا أن يهتموا بأمر اللهجات على خطورته ، وكان أن رويت لنا أخبار متناثرة عنها ، لا يمكن أن تصنع تاريخا ، أو تصوغ فكرة متكاملة .

فقد رويت لنا مثلا عن لهجة تميم عدة أخبار ذات أهمية ، وتميم فى

---

(١) السابق .

التاريخ اللغوى رمز للبيئات البدوية بعامة ، فى مقابل البيئات الحضرية التى تمثلها قريش وأهل الحجاز .

فما روى لنا أن تميما كانت تنطق بعض الفتحات فى لسان قريش ممالة إلى الكسرة ، وهو ما عرف فى الدراسات اللغوية ، قديما ، وحديثا ، باسم (ظاهرة الإمالة) ، وروى أيضاً عن هذه القبيلة أنها كانت تدغم بعض الأصوات فى بعض ، إذا كان الصوتان المدغمان متقاربين ، أو متجانسين ، أو متماثلين ، واتصلا اتصالا مباشرا ، فحيث كانت قريش وأهل الحجاز ينطقون الأصوات واضحة متأنية ، كانت هذه القبيلة تسرع فى أداء مقاطع كلامها ، فيدخل بعض الأصوات فى بعض ، ومن أمثلة ذلك : أفتخذتم ، بالذال والتاء ، ينطقها بعضهم : أفتختُّم ، وقد تمثلت هذه الظاهرة بمختلف أشكالها فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ، وهى إحدى القراءات السبع ، فيما سمى (الإدغام) الصغير ، والكبير ، وقد درسناها كاملة فى رسالتنا للماجستير ، فى أحد فصولها .

ونسبت كتب اللغة إلى قبيلة تميم وقيس عيلان ظاهرة صوتية سموها (العنعنة) ، وهى قلب الهمزة المفتوحة المبدوء بها عينا ، ورووا لذلك قول بعضهم : (أشهد عَنَّك رسول الله) يريد : (أشهد أنك رسول الله) ، فإذا كسروا رجعوا إلى الهمزة .

ونسبت كتب اللغة إلى قبيلة هذيل ظاهرة (الفحفحة) ، وهى قلب الحاء عينا ، فيقولون مثلا : : (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) ، يريدون : (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض) ، ويقال : إن قراءة ابن مسعود رضى الله عنه : (عتى حين) فى قوله تعالى : (حتى حين) ـ من آثار اللهجة

الهذلية فى قراءة القرآن ، وقد نهاه عمر بن الخطاب عن ذلك ، آمراً إياه أن يقرىء الناس بلسان قريش الذى أنزل به القرآن .

وينسبون إلى لهجات اليمن قلب السين تاء ، فيقولون : (التاس) فى كلمة (الناس) ، و (الأكياث) فى لهجتهم هم (الأكياس) فى لساننا ، كما ينسبون إليهم النطق بما يشبه الجيم القاهرية ، فى مقابل الجيم المعطشة التى توصف بأنها الفصحى .

وينسبون إلى قريش أنها لم تكن تعرف (الهمزة) فى كلامها ، وأن الهمزة كانت من الأصوات التى يحرص عليها البدو ، دون الحضر .

ولا ريب أن هذه الظواهر تثير أمامنا مشكلات كثيرة ، تحتاج إلى مناقشات واسعة ، غير أن المقام لا يتسع لهذا ، وفى تلك المجالة التى نحرص عليها . ويحسبنا أن نعلم أن ظاهرة واحدة هى (الهمز) قد أفردت بالدراسة فى رسالتنا للدكتوراه ، وكذلك ظاهرة (الإمالة) التى ينبغى أن تدرس دراسة علمية تحليلية دقيقة ، لا تكتفى بالجانب التاريخى فى المشكلة ، على المنهج الذى ترسمه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح شلبى فى رسالته للماجستير .

وقد استطاع الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه (فى اللهجات العربية) أن يفسر أحداثا لهجية كثيرة ، مما روى فى كتب اللغة والأدب ، وخرج من بحثه بتحديد الخطوط العامة التى تميز لهجات البدو عن لهجات الحضر ، وهو أمر يقوم فى كثير من مواضعه على المقارنات الصوتية ، كما يعتمد على نتائج الدراسات الاجتماعية فى العصر الحديث .

والنتيجة التى توصل إليها الدكتور أنيس تفيدنا أيضاً فى دراسة اللهجات الحديثة ، وهى كثيرة جدا ، فى داخل الوطن ، وخارجه ، وتعتبر دراسة هذه

اللهجات الحديثة مقدمة ضرورية لأى جهد يراد به التقريب بين أبناء الوطن العربى .

ومن العسير ، مع ما نرى من التمزق الراهن بين اللهجات العربية الحديثة ، أن تصنع محاولات السياسة إطارا يضم هذه الأشلاء والمذاهب المتنافرة ، فأبسط ما يفرق بينها هو انفصال الحدود السياسية ، وأخطر ما يمزق شملها هو هذا التنوع اللهجى ، الذى ينبغى أن تتعاون الجهود للقضاء عليه ، وإرساء حجر الأساس فى بناء الوحدة اللغوية ، طريق الوحدة الشاملة .

obeikandl.com

مقياس الصواب والخطأ فى اللغة

يتضح من دراسة تاريخ اللغة العربية أنها قد مرت فيما قبل الإسلام بمرحلتين :

المرحلة الأولى :

مرحلة التمزق القبلى ، حين كانت مجرد لهجات ، يتمسك أصحابها بتقاليدها ويعتزون .

المرحلة الثانية :

مرحلة التوحيد اللغوى ، وذلك حين ساد الجزيرة العربية نفوذ القبيلة الكبرى (قريش)،الذين كانوا سدنة البيت الحرام ، وكانوا إلى جانب ذلك أوسط العرب مركزا ، وأعلاهم نسبا ، وأرقاهم لساناً ، فأخذوا يختارون من ألسنة القبائل الوافدة إلى الحج وإلى الأسواق الموسمية ـ مارقَّ من الألفاظ والتراكيب . فتقوت بذلك لغتهم ، على حساب اللهجات الأخرى ، التى بقيت فى وضعها لاتتطور ، وكان أن أصبحت اللهجة القرشية لساناً مشتركاً بين جميع القبائل ، إلى جانب لهجاتها الخاصة .

وقد مضى قولنا : إن اللغة كائن اجتماعى ، يتأثر بالأحداث والظواهر الاجتماعية ، ويؤثر فيها أيضاً . فاللغة بهذا المفهوم ملك للمجتمع ، تنعكس فى حالتها صورته.

وفى ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول : إن الصواب اللغوى مرتبط أشد الارتباط بالصورة التى يرتضيها المجتمع للغته ، وإن الخطأ اللغوى هو

نقيض هذه الصورة ، لأن المجتمع هو الذى يملك اللغة ، وليست اللغة هى التى تحكم المجتمع .

وقد مرت اللغة العربية فى تطورها القديم بمرحلة اللغة الاجتماعية ، حين كانت تخضع لظروف المجتمع العربى فى الجاهلية ، وقد كان الأدباء والشعراء من سائر القبائل يلتزمون قوانين الفصحى المشتركة ، لاينحرفون عنها أبدا ، فإذا عادوا إلى مواطنهم القبلية استعملوا لهجتهم الخاصة ، وكان العربى فى كلتا الحالين ملتزما بالمستوى الصوابى، الذى ارتضاه مجتمعه الخاص للهجته، ولذلك الذى ارتضاه المجتمع العام للغته المشتركة ، فإذا بدرت من أحدهم بادرة انحراف تـكفل المجتمع ، والنقاد فيه كثيرون ، بتقويم المخطىء ، سواء بالتوجيه الفردى ، أو بحكم مااستقر فى حس المجتمع من استنكار لموقف الخارجين عن تقاليده الفصحى .

لم يكن المجتمع يعرف للغته العربية آنذاك قواعد محددة ، ولـكنه كان يضبطها بالإحساس بوجود القانون اللغوى ، صوتيا كان أو اشتقاقيا ، أو تركيبيا ، أو دلاليا ، والذوق الحاكم الناقد خير ألف مرة من قواعد شديدة معقدة ، عسيرة التحليل والتركيب . وقد كان هذا الذوق العربى آنذاك يفصل بين ماهو [illegible] من تقاليد اللغة المشتركة ، حتى لو ناقض كلاهما الآخر ، فلـكل مقام مستوى من اللغة ، ومن أمثلة ذلك ماروته لنا كتب النحو واللغة من شواهد تخالف فى صورتها ماتفرضه قواعد النحو العربى ، ومنها أبيات لشعراء جاهليين ، ومع ذلك حفظت ، ورويت لنا كما هى ، ومنها قول أبى النجم العجلى ، وهو من بنى عجل ، من بكر وائل :

واهاً لريا ثم واهاً واها   هى المنى لو أننا نلنـــاها

obeikandl.com

يا ليت عيناها لنا وفاها بثمن نرضى به أباهـــا
إن أباهـا وأبـا أباهـا قد بلغا فى المجد غايتاها

وفى هذه الأبيات نجد أبا النجم يلزم المثنى الألف فى حالة النصب ، مع أن القاعدة النحوية تنصبه بالياء ، ونجده أيضا يلزم الأسماء الخمسة الألف فى حالة الجر ، مع أن القاعدة أن تجر بالياء (وأبا أبيها) ، ومع ذلك رويت لنا الأبيات ، تماما كما رويت لنا الأبيات التى استقام فيها إعراب الأسماء الخمسة حسب القاعدة المعروفة ، بالواو رفعا ، وبالألف نصبا ، وبالياء جرا ، ومعلوم أن الواو والألف والياء فى هذه الحالات ليست سوى تكبير للحركات المصغرة ، التى هى الضمة والفتحة والكسرة ، ومن هذا النوع أيضاً قول الشاعر :

رأين الغوانى الشَّيْبَ لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواضر

حيث ذكر الشاعر نون النسوة بعد الفعل (رأى) ، مع وجود الفاعل (الغوانى) وهو أمر قد تتأوله أو تمنعه القواعد النحوية . . إلى شواهد أخرى كثيرة حفلت بها كتب اللغة والأدب .

مثل هذا الشعر لم يكن يلقى معارضة قطعاً من جانب نقاد الجاهلية ، ومن المؤكد أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه وارد على سنن اللهجات ، ولكل لهجة قوانينها ونظمها ، كما أننا الآن ننظر إلى الأشعار التى تكتب بلهجات ريفية ـ نظرة تسليم ، فمن حق هذه الأشعار أن تعيش إلى جانب أشعار اللغة الفصحى ، وليس بوسع أحد أن يصادرها بدعوى الانتصار للفصحى ، أو بدعوى أنها خارجة على سننها ، فإن للعاميات قواعدها الخاصة بها ، رغم أنها غير مكتوبة .

فلما جاء عصر تدوين اللغة ، وأخذ علماء العربية يضعون قواعدها ، صرفية ونحوية ـ اتجه هؤلاء العلماء إلى القبائل القرشية وجيرانها ، فأخذوا عنها لغاتها ، ورفضوا ماعداها ، واعتبروا ماخرج عن قواعدها شذوذا وخطأ لايجوز اعتماده أو الأخذ به . فكأنهم حاولوا بعملهم هذا فرض مجموعة من القواعد الخاصة ببعض اللهجات على لهجات أخرى ، فى حين كانت هذه اللهجات جميعا تتعايش من قبل فى سلام ووئام .

ومن هنا نشأت فكرة الصواب والخطأ فى اللغة ، وهى الفكرة التى كانت مرتبطة بقواعد النحو الموضوعة ، فكل ماوافق القواعد النحوية عُدَّ صوابا ، وكل ماخالفها عُدَّ لحنا .

وقد حدثت إبان ذلك العصر المتقدم حوادث بين النحاة والشعراء ، ظهر فيها إصرار الشعراء على تمثيل ماتعلموه من طبائع اللغة وتقاليدها فى أشعارهم ، وميل النحاة إلى تقييدهم بالقواعد ، واعتبار ماخرج عنها لحنا يحاسبون عليه ، ومن ذلك أن الفرزدق قال مرة شعرا يخاطب به عبد الملك بن مروان ، ويشكو له النوائب التى لم تدع له شيئا يغنى به ، قال :

وعَضُّ زمان يابن مروان لم يَدَعْ من المال إلا مُسحتاً أو مجلف

ونظر النحوى عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى فوجد أن الفرزدق خالف القواعد النحوية التى تفرض نصب المعطوف على منصوب : (مسحتا أو مجلفا) فسأل الفرزدق :

— علام رفعتَ (مجلفُ) ؟ .

فقال الفرزدق : على مايسوءك وينوءك ، علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا .

وفى هذه العبارة نجد التحدى السافر بين النحوى الملتزم بقواعده ، والشاعر المعتز بأبياته ، وماضمنها من لمحات حكَّم فيها تفوقه اللغوى .

ويتطور الزمن بعد ذلك بالناس ، ليأتى نحاة آخرون ، فى القرن الرابع الهجرى ، ليعتبروا أن كل ماجاء عن اللهجات صواب،وهو حجة ينبغى أن تعتمد فى تقعيد القواعد النحوية ؛ مهما خالفت نهج الفصحى ، وفى مقدمة هؤلاء : أبو الفتح عثمان بن جنى ، الإمام اللغوى والنحوى المشهور ، مؤلف كتب (الخصائص ، وسر الصناعة ، والمحتسب وغيرها) ، وقد عقد أيضا فى كتابه (الخصائص) فصلا بعنوان : (ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) .

وبعد أن كان النحاة المتقدمون يرفضون الاستشهاد بشعرمعاصريهم من شعراء صدر الإسلام ، ولايحتجون إلا بشعر الجاهليين ، والمخضرمين (وهم الشعراء الذين عاشوا طرفا فى الجاهلية ، وطرفا فى الإسلام) وفى مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء ، الذى حدث عنه الأصمعى فقال : (لازمت أبا عمرو ابن العلاء عشر حجج فلم أسمعه [illegible] سلامى) ـ بعد هذا وجدنا النحاة المتأخرين يستشهدون بشعر معاصريهم ، كالمتنبى ، وأبى تمام ، والبحترى ، فضلا عن المتقدمين كالفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والحطيئة ، بل لقد وجدنا من المحدثين من يجيز الاحتجاج بشعر الشعراء المعاصرين ، أمثال شوقى وحافظ .

فإذا كانت اللغة ملكا للمجتمع فإن من الواجب اعتبار كل عطاء لغوى لهذا المجتمع ، فى أية صورة كان ، شعرا أو نثرا ، مادام أصحابه قد عرفوا بحب لغتهم ، والحفاظ عليها ، وبذلك يتسع باب القياس اللغوى ليشمل كل كتابنا المحدثين ، من أمثال المازنى ، وطه حسين ، والعقاد ، والرافعى ، ولكل من

obeikandi.com

هؤلاء عطاؤه اللغوى القيم ، الذى يثرى اللغة الفصحى بالكثير من الظواهر التركيبية ، نتيجة اطلاعهم على الآداب الغربية ، وتمثلهم لتراكيبها . ولعل من الأمثلة الجديرة بالذكر فى هذا المقام مالاحظه الدكتور إبراهيم أنيس فى قول شوقى متحدثا عن الطيران :

يا سلاح العصر بُشِّرْنا به كل عصر بكميٍّ وسلاح

إن عزا لم يظلَّلْ فى غد بجناحيك ذليل مستباح

فإذا كانت الأداة (لم) تفيد قلب زمان الفعل المضارع إلى المضى ، فكيف يمكن أن يقول الشاعر : (لم يظلل فى غد) . . ؟ .. ومع ذلك فقد يكون هذا استعمالا مبتكرا للأداة (لم) فى ذوق شوقى ، ينبغى أن يوضع موضع التحليل والفحص ، للحكم على صلاحيته وإمكان اعتباره نموذجا من نماذج الفصحى المتجددة ، قائما على استحضار صورة الغد ، واعتبارها ذات وقائع ماضية بالقياس إلى زمنها الخاص .

وهكذا تتطور مقاييس الصواب والخطأ ، بمرور الزمن . واستمرار محاولات التجديد فى القواعد والمقاييس .

والأساس الذى يمكن أن نبنى عليه فكرتنا عن مقاييس الصواب والخطأ فى اللغة ذو مستويين :

المستوى الأول :

وهو المستوى الذى تفرضه القواعد النحوية الصارمة ، وهو مستوى (الصواب النحوى) .

والمستوى الثانى :

وهو المستوى المتصل باللغة ، من حيث هى كائن متحرك ، دائر فى المجتمع ، متأثر به ، مؤثر فيه ، متطور بتطوره ، وهذه كلها ظروف تفرض على مقاييسنا قدراً من المرونة ، يساير مقتضيات التطور ، ومايحدثه اتصال اللغة باللغات الأخرى من تبادل فى التراكيب ، وتطور فى الأصوات ، وفى المفردات ، وفى الدلالات ، وهو تطور يندفع المجتمع فى تياره ، بفعل عوامل معقدة شديدة التعقيد ، ولابد للغة أن تتسع لكل احتمال قد يؤثر فى مبناها ، لتكون أداة معبرة عن توقعات عصر جديد .

هذا المستوى هو (مستوى الصواب اللغوى) ، وهو لاينافض (الصواب النحوى) ، ولكنه قد يتوسع فى تطبيق قاعدة ، وفى إهمال أخرى ، مستعيضا عنها بما يوافق هواه الاجتماعى ، وقد تكون مراعاة الصواب النحوى بمثابة اللجام الذى يكبح جماح الانطلاق الذى يستهدف التخلص من التقاليد اللغوية العريقة .

وقد رأينا أن مسألة الصواب والخطأ لاتقتصر على الجانب النحوى ، أو الإعرابى ، فهذا جزء صغير من كيان شامخ ، تتقلب اللغة فى نواحيه ، ومن المسلم به أن أصعب جوانب اللغة وأعصاها على التطور جانب القواعد ، لكن هناك جوانب أخرى أعظم قابلية للتطور ، هى جوانب الأصوات ، والمفردات ، والدلالات ، والتراكيب ، والمعانى ، والقوالب الأدبية وغيرها .

ومن الواضح تماما أن العربية قد طرأ على معجمها وعلى أساليبها تطور كبير ، وبخاصة فى هذا العصر الصناعى ، الذى أمات مجموعة ألفاظ ، كانت قبل مستعملة ، دائرة على كل لسان ، مثل : الناقة ، والربع ، والفسطاط ، والقبيلة ، والفخذ ، والبطن ، والعشيرة ، (وهذه الألفاظ الأربعة الأخيرة

تدل على تقسيمات قبلية)، كما ماتت مجموعات الألفاظ الهائلة الدالة على أنواع السيف، والأسد، والثعبان ، والعسل، وقد روى لكل من هذه مئات الأسماء ، حفلت بها كتب اللغة ، وألفت فيها مصنفات كثيرة مروية فى التراث ، وحل محل هذه الألفاظ مجموعات أخرى ذات أهمية صناعية ، أو علمية ، أو اجتماعية وهى إما مشتقة من أصل قديم ، أو مولدة بإحدى طرق توليد الألفاظ ، كالنحت ، أو الارتجال ، أو مقترضة معربة ، وهى ألفاظ لم يعرفها العربى القديم ، الذى أثرنا عنه لغتنا الفصحى ، وأغلب الظن أنه لو بعث أحد هؤلاء الفصحاء ثم استمع إلى نطقنا للغة الفصحى ، لما فهم شيئا ، بسبب اختلاف طريقة نطقنا ، واختلاف نهجنا فى تركيب جملنا . واحتشاد مجموعات من الألفاظ الغريبة ، التى لم تطرق أذنه ، ولم يتحرك بها لسانه . كما تصيبه الدهشة من حركة الحياة حوله ، وهى حركة تسيطر عليها الكهرباء ، التى لم يرها ، ولم يعرفها لفظا ولا مضمونا ، أى : أن قاموس اللغة قد تطور وتغير .

على أن هناك قضية أخرى متصلة بعلاج مشكلة الصواب والخطأ فى اللغة، فقد عالجنا حتى الآن جانب اللغة الفصحى قديما وحديثا ، فى تناول الفرد لها، وفى علاج العلماء لظواهرها .

بيد أن الفرد لا يتحدث الآن بالفصحى ، فهى لغة كتابة ، ولغة فكر ، أما لغة الحديث فتختلف من عامية إلى أخرى ، باختلاف بقاع الوطن العربى .

وقد جرت العاميات أيضا على مجموعة من القواعد والتقاليد، التى يلتزمها المجتمع واستعمالاته ، ومن أمثلة ذلك حالات النفى ، والاستفهام ، والنهى ، والتمنى ، والأدوات المختلفة ، واستعمال الفعل ، ماضيا ، أو مضارعا ، أو أمراً ، الخ . . الخ . .

وقد كسبت هذه التقاليد قوة الشيء المفروض ، بحكم المجتمع ، وبتقادم الاستعمال اللغوى على ألسنة الناطقين بالعامية ، فأى خروج على هذه التقاليد هو فى عرف أصحابها لحن ، يواجهه أفراد المجتمع بالاستنكار حينا ، وبالسخرية حينا آخر ، وبالنصح والإرشاد أحيانا ، بل إن التزام هذه التقاليد هو فى عرف المجتمع الأمارة الوحدة على انتماء المتكلم إليه ، وولائه لسانه ، واستعمال تقاليد أخرى يعنى فى نظر المجتمع أن المتكلم أجنبى عنه ، منتم إلى مجتمع آخر .

واستمع مثلا إلى سودانى ينفى الفعل (أعرف) ، فيقول : (ما بَعْرِفْ) لتشعر بالفرق بين نفيه ونفى المصرى : (مَعْرَفْش) ، واستعمال أحدهما لطريقة النفى المستعملة عند الآخر يعد فى نظر مجتمعه خروجا على تقاليد لهجته ، ولحنا فى تركيب صيغها ، وهو موقف لا يقبل إلا من الأجنبى عن اللهجة ، دون مواطنها.

فها نحن أولاء فى موقف يفرض فيه المجتمع مقياس الصواب والخطأ فى اللغة ، ويرسم الحدود التى لا ينبغى تجاوزها للفرد المتكلم ، وهى حدود ذات طبيعة اجتماعية ، أى : أنها تتطور بتطور المجتمع ، الذى يستقبل جهازه اللغوى كل يوم مزيداً من الألفاظ والتراكيب الواردة ، وهى تسهم بمرور الزمن فى تطوير اللسان بإثرائه بصيغ ومفردات ونظم جديدة .

ولا ريب أن تطور وسائل النشر والإعلام فى الوطن العربى سوف يفرض على العاميات المختلفة فى الأوطان العربية قدراً لغويا واحدا ، فى المستقبل القريب أو البعيد ، أى : أن هذه العاميات سوف تتقارب وتتفاعل ، لتتخلق من بينها لغة منطوقة مشتركة ، يستخدمها الناطقون من المحيط إلى الخليج ، وهى لغة أقرب إلى طبيعة الفصحى ، منها إلى أية عامية من العاميات الحديثة ، لأن الحركة الثقافية فى الوطن العربى متجهة بكل طاقتها إلى دعم الاتجاه الوحدوى بين المواطنين فى كافة أرجاء الوطن العربى ، وليس كاللغة

الفصحى وسيلة لتوحيد القلوب ، من طريق توحيد الألسنة . ويومئذ سوف يعد الخروج على سنن اللغة الجديدة انحرافا عن الصواب اللغوى المستحدث ، وهكذا .

ومن ذلك كله يتضح أن مسألة الصواب والخطأ فى اللغة تخضع للنسبية ، فالصواب صواب بالنسبة إلى ظروف معينة تمر بها اللغة اجتماعيا وتاريخيا ، وبالنسبة إلى النموذج الذى يقاس إليه ، ومستوى هذا النموذج ، سواء أكان من اللغة الأدبية ، أم من لغة التأليف والكتب ، وبالنسبة إلى مستوى اللغة ذاتها ، فصحى كانت أو عامية . وهكذا تتحكم النسبية فى المشكلة التى شغلت جانبا كبيرا من مناقشات العلماء والأدباء ، خلال القرون .

obeikandl.com